تصحيح الأوضاع

للأستاذ محمد الفاسي

سيدى الرئيس :

أيها الزملاء الكرام :

إنني أشكر مجمعنا العتيد على اختياره موضوع لغة الصحافة لأبحاث هذه الدورة من المؤتمر ؛ لأن أمر تفشى الأغلاط فى لغتنا من حيث اللغة والصرف ومعانى الألفاظ والتراكيب ودخول الهجنة عليها ، بلغ من الخطورة حدّا جعل كل المهتمين بمستقبل اللغة العربية يخافون عليها ؛ إذ أن هذه التحريفات أكثر ضرراً عليها من الدعوة إلى العامية ، لأن هذه الدعوة قد برهن الزمن للعقلاء من أمتنا على مضرتها وتسلحوا ضدها بشتى الوسائل ، ولكن نسبة هذه الأخطاء للصحافة وحدها صار غير صحيح فى وقتنا هذا ، فمنذ كتب «اليازجى» عن لغة الجرائد ومن جاء بعده ممن عالجوا هذا الموضوع ، ظهرت وسائل أخرى إعلامية أعمق أثراً فى المجتمعات ، وأشمل نفوذاً مما تسرب حتى فى أقلام العلماء والكتاب ، ثم إن هذه الوسائل لم تبق محدودة فى نطاق بلد واحد ، ولكنها انتشرت فى كل العالم العربى أكثر من انتشار الجرائد والمجلات ، أى ما كنا نطلق عليه اسم الصحافة .

ولقد اهتم العرب منذ القرون الأولى من الحضارة الإسلامية بتصحيح الأخطاء فى كتب يسمونها عادة أخطاء الخواص ، والأمر ليس خاصا بالعربية ، فاللغات الحديثة كلها تتعرض لهذه الأخطاء بسبب تعميم التعليم الابتدائى الذى يجرئ كل واحد على الكتابة والتأليف ، حتى من كانت بضاعته مزجاة ، وإذا أخذنا مثلا لذلك فى اللغة الفرنسية ، نرى كبريات الصحف اليومية تخصص ركنا لتصحيح أوضاع اللغة الفرنسية ، وتوجد هيئات ترعاها الحكومة تسهر على سلامة اللغة ، وترجع الفاسد منها إلى الصواب ، وتبعد الدخيل الإنجليزى الذى يغزو الآن لغات الدنيا ، وتحل محله ألفاظا فرنسية ، وفى الأسبوع الماضى قدم السيد «لانج» وزير الثقافة الفرنسى للصحافة مائة كلمة فرنسية لتحل محل نظيراتها الإنجليزية .

وقبل أن أتعرض لتصحيح بعض هذه الأخطاء والتحريفات ، وأنا أعنى بهذا منذ

(*) ألقى فى الجلسة الخامسة لمؤتمر المجمع فى دورته التاسعة والأربعين (السبت ١٣ من جمادى الأولى ١٤٠٣هـ الموافق ٢٦ من فبراير ١٩٨٣ م) .

زمن طويل ، واجتمع لدى الشئ الكثير منها عدة مقالات فى جريدة الرسالة التى تصدر فى مدينة سلا بالمغرب فى هذا الموضوع تحت عنوان «تصحيح الأوضاع» — أقول قبل ذلك ينبغى أن أشير إلى أسباب تفاحش هذه الظاهرة التى عملت وسائل الإعلام المسموعة — أكثر من غيرها — على تفشيها ، والسبب الأول هو إصرار العرب على عدم استعمال الشكل والضبط على ما يكتبون. فمن هنا مئات الأغلاط اللغوية والنحوية ، وإذا كنا فى العصور الماضية لا نحتاج إلى ذلك ، لأن عدد المثقفين كان قليلا ، وكان لهم من الوقت ما يكفيهم فى صغرهم وشبابهم لتعلم قواعد النحو العربى الكثيرة المتسعة ، فإن ظروف العصر الحاضر لا تساعد على ذلك ، وأنا أعتقد أن العربية أسهل اللغات ؛ لأن قواعدها ليس فيها شذوذ ؛ كما هو الشأن فى اللغات الغربية مثلا ، وذلك لأن واضعى النحو العربى كانوا من العباقرة النبغاء ؛ إذ اهتدوا إلى جعل قاعدة لكل ظاهرة نحوية كتابة وإعرابا ، مما جعل من جهة أخرى حفظ هذه القواعد والاستيلاء عليها يتطلبان زمنا طويلا لذلك ، حيث يضيق بنا الوقت لاستيعابها ، واليوم يتعين ، بل يجب تلافى الأخطاء بشكل كل ما ينشر على الناس .

ولاحظْ فائدة هذا فى طبع « المصحف الشريف » الذى لا يلحن فيه أحد مطلقا بفضل الشكل الكامل لكل ألفاظه .

والسبب الثانى : العجلة فى نشر الخبر ، مما لا يدع وقتا للمحرر التلفزى والإذاعى للبحث والتنقيب عن اللفظ المناسب والتركيب الصحيح ، ثم إن للمترجمين مسؤولية عظمى فى هذه الحالة السيئة التى صارت إليها اللغة العربية ، وقد لاحظت هذا فى منظمة اليونسكو ونبهت عليه ، وكم مرة فى أثناء الاستماع إلى مترجم أو مترجمة أطلب الكلمة من الرئيس لأقول : إننى لم أناضل النضال المرير أنا وزملائى العرب لإدخال لغتنا إلى اليونسكو لكى نراها اليوم تمزق بهذه الصورة ، ثم إننى عقدت مع ثلة من المترجمين جلسة أطلعتهم فيها على ما أخذ بينتها لهم كتابة بعد ذلك .

ثم إن من المسؤولين على إفساد لغتنا أصحاب المتاجر والمعامل وكل من يعلق على محل عمله أو يكتب على سيارات نقله أسماء ما يقوم به من عمل ، وأمثال هؤلاء يجب أن يردعوا :

وفى المغرب ، عند تأسيس الأكاديمية الملكية المغربية ، جعل مؤسسها وراعيها جلالة الملك «الحسن الثانى» — نصره الله — من أهدافها أنها «تقوم بالمحافظة على صفاء اللغة العربية وصحة الترجمة ، وأن ما تقرره من ذلك ملزم» . ومن أمثلة هذه الانحرافات : الشركة التى تسمى نفسها « المغرب خشب » وهى تعنى بذلك بكل بساطة : « شركة خشب المغرب» ، وكذلك «المغرب حليب » ولو

كان هذا التركيب صحيحا لكان معناه أن المغرب محلوب ، ولكنهم يعنون بذلك فقط : «شركة حليب المغرب» ومظاهر هذه التشويهات كثيرة .

ومن أسباب هذه الأخطاء الإهمال وعدم الاكتراث ، بدليل أننا نرى فى كتابة علماء ومثقفين أغلاطا لا نجدها حتى عند تلاميذ المدارس الثانوية ولا يمكن أن تنسب للمطابع ؛ لأن الطابع يمكن أن يغلط فى حرف ، وأما أن يطبع من عنده تركيبا خاطئا —عوض صواب الكاتب — فهذا بعيد .

وهذه اللامبالاة ناتجة عن كسل فكرى ، لأن الانتباه وتوخى الصواب—خصوصا فى لغة المخاطبة—يتطلبان مجهودا عقليا يكسل عنه المتكلم والكاتب أحيانا ، وهكذا نسمع ونقرأ ألفاظ القناعة بمعنى الاقتناع ، ولاندرى من أين جاء هذا الخلط ، لأن كل عربى سليم الذوق يعلم أن من لم ينتظر أكثر مما جاءه فى حظه واكتفى به فهو قانع ، أما الذى تشرح له مسألة حتى يصدق بها فهو المقتنع ، وقد حصل له الاقتناع ، ولكنك صرت لا تسمع فى الخطب ولا تقرأ فى الكتابات إلا القناعة ، وعسى الذين يغلطون فى هذا المفهوم يرجعون عن غلطهم ويقتنعون بصواب الاقتناع عوض القناعة .

ومن ذلك استعمال لفظة الشفوى لما هو غير مكتوب والمقصود الشفاهى ، وهذا الغلط ناتج عن الرغبة فى الهروب من النسبة إلى الجمع ، ظنا أن لفظة الشفاهى نسبة إلى شفاه جمع شفة ، والواقع أن الشفاهى —بمعنى غير المكتوب—هو نسبة إلى المصدر أى شافه يشافه مشافهة وشفاها ، كما نقول : ناضل مناضلة ونضالا ، أما شفوى فهو ما ينسب لشفة كالحروف الشفوية مثل : الباء والميم ونحوهما . ومن هذه الأغلاط الشائعة استعمال لفظة المراقب أو المراقبين لمن يشاركون فى اجتماعات عامة وطنية أو دولية بدون أن يكونوا أعضاء عاملين ، وبدون أن يكون لهم حق التصويت ، فهم مجرد ملاحظين observer, observlew

وكنا فى المغرب لا نسمع ولا نقرأ إلا لفظ ملاحظ حتى أخذ مذيعو نايقلدون من يقول : «مراقب» عوض «ملاحظ» ، ولو تنبه هؤلاء إلى معنى المراقب لوجدوه أكثر حتى من عضو مطلق ؛ لأن من له حق المراقبة هو الذى يفحص أعمال من له رقابة عليه وينتقده ويوجه له اللوم إن اقتضى الأمر ذلك .

وكذلك المتتبعون لأحوال بلاد ما —من حيث السياسة—فهم كذلك ملاحظون لا مراقبون ، ولكنك لا تسمع ولا تقرأ إلا «يرى المراقبون» ، « ويقول المراقبون » : ونحو هذا . . وقد وصلت أخيرا هذه العدوى إلى المغرب .

ومن الأخطاء الكتابية مايتعلق بالهمزة ، وخصوصا الهمزة المضمونة فى وسط الكلمة ، التى تكتب هنا فى مصر فوق الياء مثل :

«شئون » ولعمرى لا أدرى ماالحامل على ذلك ، وجعلها فوق الواو متيسر كجعلها فوق الياء ، أما عندنا فى المغرب فإننا كثيرا ما نرى الهمزة المكسورة مكتوبة فوق الألف ، ولكن هذا يقع فقط فى الآلة الكاتبة ؛ لأن صانعى هذه الآلات قبل اليوم كانوا لا يعتنون بسبك هذا الحرف ؛ أى الألف « تحته همزة » ، ومن هذا القبيل إهمال النقطتين تحت الياء فى آخر الكلمة ، فيلتبس مثلا علىّ بعلّى .

وأما فوضى كتابة الهمزة فإنها عامة ، ولكن فى المطابع التى لا تتقن عملها ، مع أن كتابة الهمزة لها قواعد ثابتة ، وهذا مثل مايتعلق باللغة الغربية كلها نطقا وكتابة ، يحتاج إلى انتباه وتفكير ، خصوصا مع انعدام الشكل ، وهو فى نظرى السبب الرئيسى لأكثر الأغلاط التى صار الوعى العربى الآن يتتبعها بكل اهتمام :

ومن الاستعمالات الخاطئة استعمال لفظ معمار بمعنى هندسة معمارية وتسمية المهندس المهتم بالبناء معماريا ، ولكن الذى أعرفه هو أن المعمار هو هذا المهندس نفسه ، وقد جاء فى الجزء العاشر من معجم الأدباء «لياقوت» أن أحد الأمراء أيام العباسيين بنى دارا جميلة وحضر الملك محمود بن نصر المرداسى يوم الاحتفال بفتحها فأعجبته أيما إعجاب ، وسأل عن الثمن الذى لزم لبنائها ، فقال له صاحبها : والله لا أدرى بالضبط ولكن المعمار هنا وسأناديه ليخبرنا بذلك « معجم الأدباء ج ١٠ ص ١٠٠ » .

ومن الأغلاط الشائعة : النسبة إلى كلمة لاعلة فى آخرها وبدون موجب بزيادة واو .. وهذا ينم — كمظاهر أخرى من هذا التشويه — على فقدان الملكة العربية ، فما أحوجنا أن نقول : «الإدارة الغابوية ، والنظام الأسروى ، والحركة الوحدوية » ، فى حين أن التركيب الإضافى هو آلف فى هذا المقام ، فقولنا : إدارة الغابات ، ونظام الأسرة ، وحركة الوحدة ، أخف على اللسان وأنسب للسليقة العربية .

ومن هذه الأخطاء التى تدل على الجهل باللغة استعمال لفظة « أخِصّائى » للدلالة على العالم أو الخبير المتخصص فى فن ما ، ظنا من مخترعها الأول أنها مشتقة من مادة «خصص» ، والواقع أنه رأى هذه الكلمة مكتوبة بدون شكل هكذا « ا ، خ ، ص ، همزة فوق الياء ، وياء النسبة » فقرأها أخصائى ، فى حين أن مستعملها كان يعلم مايقول ولكن لم يشكل ، أو بالأحرى لم تشكل المطبعة (وهذا داء عضال) فلم يقرأها على صوابها وهو : إخصائى — اصطلاح عربى للخبير بالشئ العارف له معرفة دقيقة .

ومن التقليد للغة الفرنسية — بالخصوص عند أبناء المغرب العربى — استعمال لفظة «الوطن الأم » ؛ لأن لفظة الوطن Parrie

بالفرنسية مؤنثة ، وإن كان اشتقاقها من اللاتينية Peter لفظا مذكرا ، والأب مذكر فى أكثر اللغات الأخرى ، فينبغى أن يقال ، الوطن الأب إذا كان ولابد أن نقتبس هذا التعبير من اللغات الأعجمية.

ومن هذا القبيل -أى تقليد اللغة الفرنسية- تأنيث الأفعال الراجعة إلى اسم مذكر أضيف إليه اسم مؤنث ، فيقولون مثلا : توصلت جلالة الملك ببرقيات تهنئة ، والحالة أن العربية لاتبيح مثل هذا التركيب ؛ لأن المقصود هو المضاف إليه ما قبله ، أى لفظة الملك ، وسبب هذا أيضا أن أسلوب اللغة الفرنسية يفرض أن يعتبر فقط المضاف ؛ لأن صيغة هذه اللغة الوقوف مع الألفاظ ، وهو نوع من الجمود يضفون عليه صفة الوضوح ، فيقولون : الفرنسية لغة الوضوح .

ومن الاستعمالات الخاطئة عند التونسيين — متأثرين باللغة الفرنسية — قولهم : « المدينة أين ولد فلان » و« البلد أين أنا ذاهب » .

ومما عمت به البلوى فى هذه السنين الأخيرة استعمالات فجة لا يستسيغها الذوق العربى وتحدث التباسا فى المفاهيم ، وذلك بقولهم : « التحديث » ، ويقصدون به جعل الشئ حديثا ، « والتعصير » : أى يجعل الشئ عصريا ، وسبب مثل هذه التراكيب هو اللجوء إلى ألفاظ خاصة عوض استعمال جملة تفسيرية واضحة ، كأن يقال مثلا : موافق للعصر أو متمش مع الطرق الحديثة ، وهكذا لا يلتبس الأمر لا بتعصير الفواكه ولا بسرد حديث النبى صلى الله عليه وسلم .

وأبشع منهما « التطبيع » بمعنى إرجاع العلاقات طبيعية ، وفى بلاغة اللغة العربية ما يكفى للتعبير عن كل هذه المعانى بألفاظ جزلة واضحة .

ومن باب تفخيم الأشياء فى بعض البلاد العربية تسمية أشياء بسيطة بألفاظ فخمة ، فالمدرسة — وإن كانت ابتدائية — معهد ، والتلاميذ طلبة ، والمعلم الابتدائى أستاذ ، والجمعية رابطة ، والأمم الفقيرة المتخلفة — وهذا عندى هو المقصود بالذات فى هذا الفصل — نامية ؛ أى نمت وتم نموها ، وهذا الاستعمال أصله الإذاعات الأوربية الناطقة بالعربية وهى تتملق منتجى النفط ، ولا تريد أن تجرحهم بنعتهم بالأمم المتخلفة — وهو أصدق تعبير عن حاله هذه الأمم — فأخذوا يقولون أولا : الأمم التى تسير فى طريق النمو ، ثم قفز واقفزة واحدة إلى نعتها بأنها لم تبق فى طريق النمو ، وإنما وصلت إلى النمو وصارت نامية ، وأحسن ما يعبر به عن هذا المفهوم لفظة متنامية ؛ لأن « تفاعل » فى العربية يؤدى هذا المعنى ، فتقارب مثلا — يسعى نحو القرب ، وتماثل للشفاء دخل فى طور النقه ، وقد أخذ بها كتاب العراق ، وقد نشرتها فى المنتديات الدولية كاليونسكو والاليسكو :

ومن التراكيب الشائعة فى هذا العصر استعمال فعل «عانى» بدون مفعول كأنه لازم، ويركبونه مع حرف الجر «من» فيقولون مثلا : «وأهل القرية يعانون من قلة الماء»، ولايقولون ماذا يعانون، وهذه ترجمة للكلمة الفرنسية Sou Pprir de وهو فعل لازم ويأتى أحيانا متعديا ، وهذا من أمثلة سوء الترجمة ، ولكن هذه العبارة كتب لها انتشار كبير ولاتخلو منها جريدة ولا خبر إذاعى أوتلفزى .

وإنى أعفيكم من التصحيحات التى تعرض لها الأستاذ والزميل الفاضل سعيد الأفغانى ؛ لأنه أثلج الصدر بتصحيحاته وذلك كاستعمال « الكوادر » لما نسميه « الأطر» أو الإطارات ، وأزيد : أن كوادر — زيادة على هجنتها وبشاعتها فى العربية — لها معنى فاحش فى العامية المغربية ، وأما « مدير عام الشركة » — ولا يمكن أن يقرأ إلا هكذا — فهى من علامات أخرى لانعدام السليقة العربية . هذه هى الطامة الكبرى التى أعتبرها عنوان هذا الانحطاط الذى أصاب بعض نواحى لغتنا الحية القوية، التى لا يمكن لكل هذه الانحرافات أن تزيل عنها رونقها ومقامها، لأنها محفوظة من قبل المولى تعالى الذى أنزل بها كلامه القديم .

وأريد أن أختم هذه الكلمة الوجيزة بما قاله أحد حكماء اليونان وهو «أنتيستان» من رجال القرن الرابع قبل المسيح، قال: « إن الاستيلاء على الألفاظ هو رأس الحكمة»، والسلام عليكم ورحمة الله .

للأستاذ محمد الفاسى
عضو المجمع من المغرب